"تسليم سوسيولو- تداوليّ"

شعرية الفعل الكلامي في ديوان ابن الرومي (٢٨٦هـ)

دراسة سوسيو- تداولية

Poeticism of Speech Acts in the Collection of Ibn Al-Rumi ,286 died

(Socio-Pragmatic Study)

أ. م .د. محمد صائب خضير

Asst.Prof.Dr. Muhammed Saab Khudheir

العراق/ جامعة بغداد/ كلية التربية للعلوم الانسانية –ابن رشد/

قسم اللغة العربية

Dept of Arabic, College, College of Education for Human Sciences/Ibn Rushd , University of Baghdad, Iraq

Mohammed.saab@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخّصُ البحث:

عُني ابن الرومي ـ في شعره ـ بألفاظه وجمله وعباراته، مع التداخل بين أفعال كلامه مع وجود صيغ الكلام المختلفة في شعره كالمدح والذم، والقسم، والتعجب، والرجاء ؛ هذا ما جعل فعله الكلامي مرتهناً بسياق الحال الذي قيلت به القصيدة، فهذه الحال هي التي تجسد القصيدة، وتحقق وجودها ؛ مما جعلني أدرس شعره باحثاً في كلّ ما سبق عن طبيعة الجملة التي يستعملها الشاعر للوصول الى ما يريد قوله من غير أن يقع تحت طائلة المساءلة، في ظرف صعب ومربك عاش الشاعر فيه، وجسّد من خلال شعره مواقف حية لها صلة بمكان إنتاج الفعل الكلامي، وزمانه، فلو قيلت بزمان مختلف لاختلفت القصيدة ومضامينها عمّا قيل ونقل عن الشاعر، واستعنت بالتداولية للوصول إلى ذلك ؛ فوجدت كثيراً من التجارب العميقة المستوحاة من حياته، وما عاناه فيها من آلام وانكسارات، كلّ هذا كان مقدماً بلغةٍ خاصة بنيت بناءً محكماً رصيناً. معتمداً على ثقافة سامعه وحالته النفسية، وقد ذكر ابن الرومي السلطة الحقيقية في شعره التي يحدّدها التعامل مع الناس، فكان شعره اندماجاً مع المجتمع.

وقد تقصّى البحث الفعل الكلامي في شعر ابن الرومي الذي يميل فيه إلى النظر إلى العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الشاعر بشعره، فلا يمكن له أن يكون بعيداً عن المؤسسة الاجتماعية التي تنتجه، وإذا خرج فإنه يتعلق بموقف الشاعر الاجتماعي أو الاعتباري والمخاطب كذلك أو هما معاً ؛ لأنّ إنجاز الفعل الكلامي مرهون بالمخاطب، لهذا حاول ابن الرومي تحقيق هذه المهمة من طريق المراوغة حيناً، ومراعاة حال المخاطب (قد يكون الممدوح مثلاً)، أو الميل إلى افتعال الأسئلة، وترك الإجابة للمتلقي (مهما اختلف زمانه) ليحدّدها بحسب طبيعة موضوع القصيدة، أو المحور الذي تدور عليه .

وبهذا فقد اختار الشاعر جمله الشعرية اختياراً محكماً، وقد استطاع المنهج التداولي أن يقفَ على أهم الأمور المهمة التي تجعل شعر ابن الرومي متأثراً بعصره، وإن كان في بعضه صالحاً؛ من أجل أن تمتد مساحته ليصلَ إلى المتلقي ليكون مساهماً حقيقياً في إنتاج النصّ.

الكلمات المفتاحية:ديوان ابن الرومي، الشعر العباسي، المصطلحات التداولية

Abstract:

Ibn Al-Rumi gives much shrifts to utterances, lines and expressions though there are certain trends ; hyperbole, understatement, swear, exclamation and beseeching . That is why his poetry tends to be pertinent to the time and p[lace a poem sprouts . Here comes the reason of my choice to focus on such a locus in his poetry . A poem written in a time and place is different from that said in another time and place.

Having explicated his poetry under the umbrella of speech acts, I find many events of his entire life reflected in his poetry. That is, the speech acts run in line with the social and institutional acts and he does not derail from them , if doing the reverse , it means that he and the interlocutor or both have a different social or personal opinion .

In doing so, the poet makes use of maneuvers to approach the interlocutor and sets questions and leaves the answer for the interlocutor , though in different time of him . By the pragmatic devices , the research study cuddles important issues of his poetry to prove that he is affected by his time , though certain issues address the modern time.

Key words:

Ibn al-Roumi's poetry, Abbasid poetry, deliberative terms

المقدّمة:

حظي الشعر العباسي في عصوره المختلفة بنصيبٍ وافر من الشعراء الذين رفدوه بكثيرٍ من الإبداع الشعري الذي وقف عنده النقّاد والدارسون، ومن الشعراء الذين ظهروا في هذه الحقبة الخصبة شعرياً (ابن الرومي)، الذي امتلك نَفَساً شعرياً طويلاً يُمَكِنُه من كتابة القصائد الطوال، وامتلك قدرةً كبيرةً على التعبير الشعري عن الفكرة الواحدة بألفاظ متنوعة وعبارات متغايرة، فجاء شعره ملوناً بألوان مختلفة، وممزوجاً بحالات كثيرة تولد أفكاراً كثيرةً، تجعل من يقرأه يقف عند أبياته متفكراً بما فيها من غنى وتنوع، ويستحق أن نقف عند شعره وقفات استكشافية تكشف مضمونه الفكري العميق، الذي جعله شاعراً معروفاً ذائع الصيت منذ القديم حتى وقتنا هذا، باحثين في ذلك عن أشكال التعبير في شكل البيت الشعري الذي يقوم على تأليف العبارة، أو اختيار ألفاظها وترتيبها، منها ما يحتمل التأويل ومنها ما لا يحتمله، مستعينين بذلك بمنهج حديث أثبت فائدته في تحليل الخطاب، وفهم آفاق الشعر وسبر أغواره، هو التداولية، ففي التداولية مجال رحب وامتداد كبير الى علوم لسانية، وعلوم غير لسانية، تحتاج الى تأمل عميق، ونظر دقيق في الشعر للوصول الى إبداعه وجماله، ويساعدنا في ذلك الأمر تجارب الشاعر العميقة المستوحاة من الحياة، ومعاناته من الآلام والانكسارات، كلّ هذا كان منظوماً بلغةٍ خاصةٍ بنيت بناءً محكماً رصيناً.

تجلّت عناية ابن الرومي ـ في لغة شعره ـ بألفاظه وجمله وعباراته، فتداخلت أفعال الكلام فيه مع تلك اللغة ؛ ممّا أوجد صيغ الكلام المختلفة فيه كالمدح والذم، والقسم، والتعجب، والرجاء ومن يطلع على ديوانه سيجد ما سبق ذكره واضحاً من خلال بنى لفظية خاصة، أو بنى تركيبة عامة، وهذا الأمر يجعلنا مهتمين بذلك الشعر عنايةً خاصةً عند النظر إليه من منظور التداولية وأفكارها ؛ لأنّها ـ أعني

البنى بنوعيها ـ أصل دراسته، لكن المعضلة في ذلك هي زاوية النظر وأبعادها ؛ لأنّ التداولية مصطلح تنوّعت ترجمته، بتنوع دارسيه وتعدد مشاربهم ؛ لذا تعدّدت مسمياتها، فمنهم من جعلها الاتصالية، أو التواصلية، النفعية، أو الوظائفية، أو علم التخاطب، وغيرها وكلّ واحد منها يحيل على الآخر، لكن من وجهة نظر مختلفة، وكلّ ما سبق يفيدنا في فهم الفكرة العامة التي نطمح في الوصول إليها [١]. وهذا يساعدنا في الوصول إلى مواضع مهمة في شعر ابن الرومي لا تطلعنا عليها المناهج الأُخَر، وتتجاوز التداولية المستوى الدلالي إلى البحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوليها، وبهذا فهي تدرس استعمال اللغة وطريقة هذا الاستعمال، وهي مهتمة بالخطاب ونواحيه النصية مثل المحادثة والمحاججة والتضمين وغيرها، مسخرةً كلّ هذه الأمور في دراسة التواصل من بدء التلفظ بالكلمات إلى القصد الذي يريد المتكلم إيصاله، وتأثيرها في المتلقي مع تحديد الأسئلة المهمة وإشكالات النص الجوهرية في عرض الأسئلة مثل: من يتكلم ولمن يوجه الكلام [٢]، وبهذا يكون استعمال اللغة هو موضع دراسة (التداولية)، من غير تحديد للوحدات الخاصة بها ولا تعين موضوعات مترابطة بها ؛ لذا تدرس التداولية اللغة من وجهة وظيفتها سواء أكانت معرفية، أم كانت اجتماعية، أم كانت ثقافية مستعينة بكلّ العلوم التي لها علاقة باللغة واستعمالها، فهي تستوعب جوانب اللغة كلّها بلا نمط تجريدي أو وحدات تحليل، وهذا كلّه يجعل التداولية ثلاث شعب: التداولية اللسانية والتداولية البلاغية، أو نظرية أفعال الكلام، التداولية الفلسفية التحاورية [٣]، وظاهرة الأفعال تُعنى عنايةً كبيرةً باللغة، وزعيم هذا الاتجاه هو فتجتشتاين الذي يرى أنّ الفلاسفة منذ نشأة الفلسفة قد عانوا من مشكلات سببها سوء فهم اللغة التي يتخاطبون بها[٤]؛ لعدم وجود قواعد ومعايير تحكمها .

التداولية وعلاقتها بالمجتمع:

تتقارب المصطلحات التداولية بعضها مع بعض، ويعزى ذلك التقارب إلى الحقول الدلالية التي أفرزتها كالفلسفة والاتصال وعلوم اللسان وغيرها [٥]، وعند النظر إلى التداولية على أنّها منهج صالح لتفسير النصّ الشعري نجدها منهجاً من مناهج التحليل التي ينظر اليها الباحثون نظرةَ استكشاف واستبصار، ويمكن عرضها من خلال علم الاجتماع فاللغة في أيّ مجتمع هي حياة ذلك المجتمع وروحه، ولا حياة لأيّ مجتمع بلا لغته الخاصة، بل من المعروف أنّ للحيوانات لغات تتفاهم بها فيما بينها، قد تتكون من أصوات متعدّدة ومنها ما تطلقها لترهب الأعداء أو روائح تتركها في أماكن خاصة دلالة على امتلاكها تلك الأماكن أو سيطرتها عليها، وفي أحوال كثيرة تعبّر بحركات الجسم التي تشعر الحيوان المقابل وتفهمه الفكرة التي يريد إيصالها له، واللغات المختلفة هي نتاج المجتمع وهي تشبه طبيعة البشر الذين يتكلمون بها، وهنالك بعض الكلام يأتي متأخراً في الجملة لهذا على السامع الاستماع لكلام المتكلم حتى ينتهي ؛ ليصل الى ما يريد منه، أو ما لا يريده، فيقبل ما يريده، أو يرفضه، وهذا تأثير مهم للغة في المتكلمين، فهي تغيّر سلوكهم وأحوالهم، وليست التداولية ببعيد عن هذا الأمر، وقد " تعامل العلماء والفلاسفة مع هذا المفهوم منذ القدم خصوصا لتأويل الأعمال النثرية والشعرية، كما استعمل لفهم كل الإبداعات الفنية والحكايات الأسطورية، والأحلام وأشكال الكتابات الأدبية بعامة " [٦]، ويمكن بها الوصول إلى أعماق العمل الأدبي، في محاولة لفهم ما أراد المبدع قوله حتى إن قاله بصيغة أخرى أو بشكلٍ مختلف، أيّ بلغةٍ غير اللغة التي تعرض الفكرة المطلوبة .

ويقدم برنارد فليبس في مؤلفه (علم الاجتماع من النظرية الى التطبيق)، المنشور عام ١٩٧٩م، تعريفاً هو " أنَّ علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع "، ومن ثم فإنَّ دراسة

علم الاجتماع يمكن أن تفيدنا إفادة بالغة في معرفة فيما إذا كانت تصوراتنا وافتراضاتنا عن المجتمع، والحياة الاجتماعية صحيحة أم لا، كالتصور الذي يذهب ـ مثلاً ـ الى أنَّ الفقراء هم الذين يحدّدون الحالة المعيشية التي هم عليها من الفقر، ووجود نظم للمعتقدات مسألة ضرورية بالنسبة للمجتمع، أو لطبيعة السلطة السياسية أو غيرها، وأن يكون لدى الانسان الاعتيادي البسيط تصور وأفكار عنها، ويمكن أن يقدّم لنا علماء الاجتماع معلومات تتعلق بأبعاد الخبرة الانسانية التي يجهلها معظم الناس .

وبناءً على ذلك يمكن لعلم الاجتماع أن يعيننا في دراسة السلوك الانساني وفهمه، وإدراك معنى التفاعل الانساني المتبادل، ودراسة النظام الاجتماعي، الذي يُكَوّن البناء الاجتماعي، من خلال الأنماط الاجتماعية أو الظواهر الاجتماعية، والاعتماد الإنساني المتبادل، وحركة المجتمع الإنساني في استقراره وحركته، وبهذا يكون المشتغلون بالواقع الاجتماعي أشدّ ارتباطا به ؛ لأنّهم جزء منه، ومن ثمّ فإنّ أوضاعهم الاجتماعية واتجاهاتهم الفكرية، والفلسفية والسياسية وانتماءاتهم الطبقية تسهم إلى حدٍّ بعيد في اختلاف مواقفهم العملية التي تنطلق من رؤاهم النظرية [٧]، والشعراء من هذه الجهة ليسوا ببعيدٍ عن المجتمع وأطيافه، فهم بشر يعيشون في المجتمع ويتفاعلون معه، وهم يمتلكون القدرة على تجميد أيّ لحظة من لحظات الزمان من خلال كلامهم في الشعر الذي يقولونه، لكن غيرهم لا يوقف اللحظة التي تؤثر فيه مثلما يفعل الشاعر، فالإنسان الاعتيادي تمرّ اللحظات عليه من غير أن ينتبه لمغزى وجودها في حياته، أما الشاعر فهو شخص حساس يستشعر كل ما يحصل له في حياته، ويعيش دائما حالة تساؤل تجعله يبدع شعراً يخلد على المدى ؛ ليخلد ذكره معه .

ابن الرومي نتيجة من نتائج مجتمعه:

عاش ابن الرومي في القرن الثالث الهجري في حقبة اتّسمت بالمتناقضات التي أثرت في المجتمع بشكلٍ لافت، فسادت الفوضى بين أفراد المجتمع في طبقاته الدنيا، وعمّ الترفُ طبقات الشعب العليا، وانتشر الغنى مثلما انتشر الفقر في الوقت نفسه، هو قرن الخطر والتسلية، وسيادة مظاهر البذخ في المعيشة، وورث ذلك القرن حضارات العرب والفرس والروم وبعضاً من حضارتي الهند والصين، وتنوّعت أساليب الترف بيد الأمراء والمترفين المنعمين، وأبعد أهل العلم والمعرفة عن هذا الترف، فلم ينالوا المكانة التي يجب أن ينالوها ؛ لأنّهم يستحقونها بحكم علمهم الجم، وإدراكهم العميق، وأقصى ما كان يرجوه صاحب العلم والأدب والفضل والكياسة هو مجالسة الأمراء والخلفاء، الذين كانوا يختارون منهم من تملق لهم، ويمجدهم بالشعر الذي ينسيهم الحال التي عليها الناس، فهم ينظرون إلى حالهم لكن من غير محاولة لإيجاد الحلول المناسبة لها، وعند النظر إلى الحالة الاجتماعية، سنجدها تتمحور حول فكرة اغتنام الفرص التي تتاح للإنسان عندما يتقرب من ذوي السلطان، في محاولة للعيش بشكلٍ لائق، وعلى الرغم ممّا ذكر آنفاً، فقد كان هذا العصر من أزهى عصور العربية وأكثرها إبداعاً، فتأسست علوم، واستوت علوم أخرى على سوقها، وآتت علوم أُخَر غيرها أُكلها، وظهرت فئة من الفقراء الذين استنزفهم الأمراء والملوك، وساد الغلاء وارتفعت الأسعار [٨]، لكن شاعرنا ابن الرومي عاش بعيداً عن بلاط الخلفاء ومجالس الأمراء، ووجد ملاذه بين الناس في الطرف الثاني من شاطئ المجتمع العربي في ذلك الوقت [٩]..

شكّل ابن الرومي جزءًا من المجتمع العربي آنذاك واستطاع بشعره أن يرسم صورةً كاملة للمجتمع، فهو عندما يؤلف قصيدة يختار فكرة كاملة يعرضها بكلّ

أحوالها وجوانبها، قال في محمد بن عبد الله بن طاهر الذي كان قائداً مبرّزاً في زمانه وذا حنكة وتأثير حتى خاف منه الخليفة المستعين على حكمه، فقد كان قادراً على قمع الثورات وإذلال أعداء الخلافة [١٠]:

وما الحسب المُورُوث ـ لا درَّ دَرُّه ـ ... بمحتَسَبٍ إلا بآخر مُكتسَبْ
إذا العودُ لم يُثمر إن كان شُعبة ... من المُثمراتِ اعتدِّه الناسُ في الحطبْ
وأنتَ لعَمْري شُعبةٌ من ذوي العلا ... فلا تَرضَ أن تُعتدَّ من أوضع الشُعَبْ
وللمَجْدِ قومٌ ساوروهُ بأنفس ... كرامٍ، ولم يرضَوا بأمَّ ولَا بأبْ
رأيتك قد عوَّلت بِي في مَدائحي ... على نائلِ الآباءِ في سَالفِ الحِقبْ
وذلك شيءٌ كان غيريَ نالهُ ... ولو كنتُ أيضا نِلتُهُ كانَ قد ذهبْ
أ تجعل نَيْلا ناله ابنُ محلِّمٍ ... ثَوابِ مديحي فيك ؟ هذا هو العَجبْ!
فما رِفدُ عبد الله والقَوْمِ طاهرٍ ... سواه بقاضٍ عنكَ حَقِي الذي وَجَبْ
فلا تَتَّكِلْ إلا على ما فعلتَهُ ... ولا تحسبن المجدَ يُورثُ بالنسبْ
فليس يسودُ المرءُ إلا بنفسهِ ... وإنْ عَدَّ آباء كرامًا ذَوِي حَسَبْ[١١]

من يقرأ هذه القصيدة سيجدها رسالةً موجهةً إلى كلّ شخص في السلطة والمسؤولية، فعلى كلّ مسؤول أن يكون حذراً من أن يقع في فخ التكبّر والتسلط، فالسلطة الحقيقية لا تتأتى من الحسب والنسب، وإنما تتأت من حبّ الشعب وتفاعله مع من يحكمه، ولو لم نعرف فيمن قيلت أو ما سببها، سنجده قد حدّد فكرةً عامةً في التعامل مع الناس، وهذا يعد اندماجاً مع المجتمع، وفهماً لحقيقة، وهو فعل إنجازي يطبع الفعل الكلامي بمجرد تلفظ المتكلم بملفوظات معينة، فقد تجاوز حدود البنية اللغوية إلى محاولة تغيير حال المخاطبين، ومن ذلك عندما قال:

وما الحسب المُورُوث ـ لا درَّ دَرُّه ـ بمحتَسَبٍ إلا بآخرَ مُكتسَبْ(١٢)

قدّم الشاعر نصيحةً عامةً يمكن أن يفيد منها كلّ الناس، فمن لا يؤثر في المكان الذي يكون فيه سيتحول حاله من الإنتاج إلى حال الاهمال مثل الغصن غير المثمر، ويصبح حطباً يرمى للنار لتحرقه، فهو يحاول أن يفعل شيئاً من خلال سلوك لغويّ وممارسة تجسّدت عبر التواصل مع السامع، قال:

إذا العـــودُ لم يُثمر إن كـــان شُعبة من المُثمراتِ اعتدِّه الناسُ في الحطبْ

وأنتَ لعَمْري شُعبةٌ من ذوي العلا فلا تَرضَ أن تُعتدَّ من أوضع الشُعَبْ(١٣)

وجعل كلامه ترجمةً للفكرة الإسلامية التي تعني أنّه لا فرق بين عربي وأعجمي فالكل سواء أمام الله سبحانه وتعالى، ولا خير إلا في الصفات والأخلاق الحميدة التي يكتسبها الشخص وهي التي تميّزه من غيره وترفع شأنه أمام الناس متجاوزاً حدود النطق الكلامي إلى النمط الإنجازي .

وللمَـجْدِ قـــومٌ ساوروهُ بأنفسٍ كـرامٍ، ولم يرضَـــوا بأمَّ ولَا بأبْ(١٤)

وأعاد الفكرة نفسها مرةً أخرى بالإشارة نفسها فلا يصل الإنسان إلى المجد ما لم يكن مدركاً لطبيعة الفكرة التي يعيش من أجل إعلاء شأنها، وهذا أمر مستمد من الحالة الاجتماعية التي كان يحياها، وظهرت في شعره وهنا برز مفهوم الحدث الذي يحصل بوساطة الإنسان، فالمجد ليس (كلمة) مفردة بل حدث يتحدّد بزمنٍ مستمر لا يقدر عليه الا قوم تجلّى فيهم معنى التغيير في الحالة الممكنة التي تحصل لهم ولغيرهم.

وممّا يذكره أيضاً في مديحه، تكريم الممدوح له مساوٍ لما يعطي لغيره، وهذا بنظره لا يجوز فهو برأيه أرفع مقاماً منه، متجلية بذلك البنية الإنجازية العميقة للفعل الكلامي عندما أحاله على حدث ما هو (النيل)، فتحقّقت غاية معينة هي العتاب قال:

أ تجعــل نَيْــلا نــاله ابــنُ محــلِّمٍ ثَوابِ مديحي فيك؟ هذا هو العَجبْ!

وختم أبياته بقوله:

فلــيس يسودُ المرءُ إلا بنفســهِ وإنْ عَدَّ آباء كرامًا ذَوِي حَسَبْ(١٥)

وهذه هي خاتمة الأبيات وفيها تكرار للفكرة نفسها، وعلى الرغم من تكرار الفكرة نفسها مرات عدة، إلا أنها تبدو مختلفة في العرض، والتمثيل للفكرة نفسها بالألفاظ المختلفة يجعلنا ندرك إبداع الشاعر وحسن تقديره للأمور التي يريد إظهارها، واختار أن يشبّه الانسان بالشجرة وأغصانها، لأنّها تكون مثمرةً تارةً فتعجب صاحبها، وتارةً تكون يابسةً فلا فائدة منها ولا جدوى.

التداولية وسيلة للفهم:

وتساعدنا التداولية في فهم الفكرة التي يعرضها المبدع حتى لو أحاطها بستائر كثيفة ؛ لأنّ المتلقي العارف يلجأ الى التأويل في النصوص الأدبية غير المباشرة، فينظر المتلقي إلى النص من منظور أنّ المبدع أراد أن يقول شيئاً، فعدل إلى قول غيره، والمتلقي الذي يرقى إلى فهم هذا الإبداع يمكنه الاستعانة بفهمه وإدراكه، وعلى المتلقي الواعي لما يدور حوله أن يهتم بدراسة اللغة لا ما يحيط بها، مستقلاً ومبتعداً عن محيطها الخارجي متفاعلاً مع بنيتها الداخلية ناظراً إلى العناصر التي تكونها، وعلاقة بعضها ببعض، وهذا يعني " أنّ اللغة يجب أن تدرس بذاتها ولذاتها "(١٦)، ومن هنا يصبح الفعل الكلامي موفقاً عندما يحقق المتكلم بوساطته مقصده .

وما يجعل التداولية منهجاً صالحاً لدراسة الشعر بشكلٍ عام، وشعر ابن الرومي ـ مجال بحثي ـ بشكلٍ خاص هو أن التداولية ستساعد ـ برأيي ـ الباحث في محاولة ردم الهوة بين الحياة ولغة من يعيشها، فهي تمتلك القدرة على النظر إلى " اللغة بوصفها نشاطاً إنسانياً، وليس مجرد نسق مغلق قائم بذاته "(١٧) . فكلّ نسق يكتسب موقعه

وقيمته في تركيبه المتناغم مع بنائه العام، متنبهين في كلّ هذا إلى علاقة الفطري بالمكتسب، وعلاقة العاطفة بالفكر، والموضوعي بالذاتي، فاتحين المجال واسعاً أمام انفتاح الشعور على اللاشعور، وهذا يوضح أنّ المبدع يسعى إلى تحقيق هدفٍ ما، كالتأثير في المتلقي أو اقناعه، أو الأمرين معا، وبدوره يسعى المتلقي إلى فهم ما يريد المبدع أن يقوله وإدراكه، مسترشداً بالدلالة المعجمية والنظام النحوي من خلال العلائق النحوية في التراكيب بشكل عام من غير إغفال للظواهر السياقية التي تتجسّد في الكلام فتكوِن " مسألةً تميّز العلاقة بين الدلالة المعجمية ودلالة الجملة، ومسألة نطاق تعالق التركيب الاسنادي والسيمانطيقي، فهما مترابطان ترابطاً قوياً بحيث إنّهما مسألتان تكاد تكون كلّ واحدة منهما على وجه التحقيق مسألة واحدة "[١٨].

قال ابن الرومي يذم المتلونين في زمانه مستعيناً بأهم صفات الفعل الكلامي أيّ الوضوح الذي يتقاسم بين المتكلم والمخاطب ويفهمه كلاهما، وهذا يكون على اختلاف المقاصد وتغيرها ثابتاً، فهو مرتبط بالجانب المعرفي للمتكلم والسامع، إذ يفهم كلاهما الكلام ومقاصده، وهو هنا بصيغة قصيدة شعرية متكاملة البناء:

رَأيتُ الأخلّاءَ فِي دَهْـرنَا ... وأجـدرْ بِنَـائِبَةٍ أنْ تَنُـوبَا

إذَا حَشَـــدُوا لِأخٍ مَرَةً ... أظـلُّوهُ للمَنَّ عَوْدَا رَكـوبا

سأستنصرُ اللهَ، حسبي بِهِ ... نَصِيرَا وإلا فحسبي حَسِيبَا[١٩]

استعمل الشاعر كلاماً يدلّ على يأسه إلا من رحمة الله في إشارة إلى أنّ المتلونين من أهل زمانه لا فائدة ترجى منهم، قال الشاعر: (رَأيتُ الأخلّاءَ فِي دَهْرنَا) مستعملاً الفعل الماضي رأيت ثم جعل المفعول به الأخلاء غير أن المتعلق هو فِي دَهْرنَا ؛ ممّا يشعرنا أنّ الجملة قصد بها الشاعر عاملاً اجتماعياً، وهي نظرة مستقبلية من ابن الرومي لما سيحصل في مجتمعه فيما بعد، وضحت فيما استعمله من العبارات .

الفعل الكلامي في الجمل في شعر ابن الرومي:

تعدّدت تعريفات الفعل الكلامي عند دارسي اللغة بحسب اختلاف وجهات النظر، فقد عرّف بأنه الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه غايته تغيير حال المتكلمين، ويسمى أحيانا فعل الخطاب [٢٠]، الذي يخضع للتأويل ويبحث فيه عن معنى إضافي وفائدة مرجوة . ويتحقّق الفعل الكلامي عندما ننطق بالعبارات في كلامنا، فهو البنية اللغوية التي ينطق بها المتكلمون بمعزل عن المقام الذي قيلت أو تقال فيه [٢١]، وعرّف الفعل الكلامي أيضا بأنه " التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام " [٢٢]، فلا يمكن لأيّ فعل كلامي أن يكون بعيداً عن المؤسسة الاجتماعية التي تنتجه، وإذا خرج فإنه يتعلق بالموقف الاجتماعي أو الاعتباري للمتكلم والمخاطب، وكلاهما في الحال نفسها حتى يكتب لهذا الموقف النجاح والذيوع بين الناس ؛ لأنه قبل كل شيء بنية معجمية في طابع نحوي فيها دلالة يؤديها الصوت، وتحكمها الحال التي تعتري المخاطبين .

ويتكوّن الفعل الكلامي من ثلاثة أنواع [٢٣]:

ـ الأول: فعل تصويتي يتمثل في إصدار أصوات اللغة وإنتاج وحداتها أو مقاطعها الصوتية التي تأتلف منها الكلمات المعجمية التي تنبع من اللغة التي يتكلمها الفرد، ومن ذلك قول ابن الرومي [٢٤]:

أبكيــتني فبــكيــتُ من غيرِ ذنبٍ جنيْتُ

وقلتِ لي: امضِ عني مُصاحَبا فمضيْتُ[٢٥]

فالوحدة الصوتية تتمثّل في (بكيت) المكررة مرتين في الشطر الأول وهي لغة خاصة بابن الرومي، فلو كان شاعر آخر لاختار عبارة أخرى بترتيب آخر، وهذا

هو الأمر الذي تعنى به التداولية، فلا يمكن لشاعرٍ غيره كعنترة أو المتنبي أن يختار هذه الكلمة في هذا المكان أو هذا الزمان .

ـ الثاني: الفعل التركيبي: وهو تأليف الأصوات والألفاظ على أنحاء مخصوصة تتصل بمعجم الشاعر الذي نحن بصدد دراسة شعره، وهي خاضعة لقواعد النحو ومقتضيات التركيب الضابطة لنظامها، قال ابن الرومي [٢٦]:

تجنَّتْ، فقال الكاشحون: تجنِّتِ وضنت فقال الناسُ: ويحكِ ضَنَّتِ[٢٧]

ـ الثالث: فعل دلالي أي إحالي يرتبط بمعاني تلك الألفاظ المتضامنة معنىً ومرجعاً، ومن غيرها تخلو الكلمات من مضمونها . فـ " المعنى والمرجع (التسمية والإحالة المرجعية) ذاتيهما قد قصد بهما في هذا الموضع أفعال تابعة للإنجاز حال إيقاع وحصول الفعل الخطابي " [٢٨]، وعندما تجتمع هذه الأفعال الثلاثة سيكتمل عندها في الفعل الكلامي فعلان هما: فعل الإنجاز، والفعل الآخر هو فعل التأثير بالقول [٢٩]، قال ابن الرومي [٣٠]:

صَـبْراً على أشياءَ كُـلَّفْتُهـا أُعْقِبْتُهـا الآنَ وسُلِّفْتُها

ويـحَ القـوافي: ما لها سَفْسَفَتْ حَظِّي كأَنِّي كنتُ سَفْسَفْتُهَا[٣١]

نلاحظ كلمة أشياء تركت نكرة بلا تعريف بأل أو بالإضافة ليترك للمتلقي فهم الفكرة، بالشكل الذي يراه هو وبهذا ترك لنا الشاعر المجال واسعاً لنفهم ما نريد، ولفهم معنى الأفعال لا بدّ من العودة الى حياة الشاعر ومناسبة القصيدة حتى نفهم ما يعني الشاعر، وسأدرس في بحثي هذا خمسة أصناف من الأفعال الإنجازية، هي: التقريرات أي أفعال تجعل المتكلم مسؤولاً عمّا يقوله في الجملة المعبر عنها بإزاء الأشياء في الكون أي العالم الخارجي [٣٢]، وهناك الإيقاعيات أي ما يعبر عنه الكلام خبراً وإنشاءً بنوعيه [٣٣]،

وهناك البوحيات منطلقا من معنى التعبير عنده، ومن ثم التعبير عن القضايا والقوى المتضمنة في القول، والبوحيات نوعان اجتماعية ونفسية [٣٤]، وهناك الوعديات التي يلزم المتكلم بإنجازها مستقبلا، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول [٣٥].

وسأختار لدراسة هذه الجزئية هنا شعر (ابن الرومي) الذي قاله في المديح لدراسة هذه الفكرة ؛ لأن المديح أقرب إلى الفكرة التي أريد عرضها من خلال دراسة أفعال الكلام وإظهار ما فيها من مضامين اجتماعية تضيف أبعاداً مهمةً على الكلام الذي يتكلّم به الشاعر، فللشعر عند العرب مكانة سامية وهذا أمر معروف؛ لأنه وسيلتهم للتعبير والإشارة إلى ما يريد التعبير عنه تلميحاً أو تصريحاً، قال ابن الرومي[٣٦] مادحاً ومستعطفاً:

أُحُب المِهْرجانَ لأنَّ فيهِ سِرورا للملوكِ ذَوي السَناءِ[٣٧]

ونضع أيدينا على عبارة (لأنَّ فيهِ سِرورا للملوكِ ذَوي السَناءِ)، السرور للملوك فقط ـ برأي ابن الرومي ـ ولكن أين الناس من السعادة والسرور .

والعناصر المكونة للفعل الإيصالي هي:

ـ المتكلم: وفيه هو الشاعر نفسه المتكلم بعينه، وفيه نعوّل على السياق الخارجي، وأنه مادح ومستعطف وهو الشاعر لا سواه .

ـ والمخاطب: هنا هم الملوك بشكلٍ عام وهم بالتأكيد ملوك زمانه الذين ملأوا الدنيا بهاءً وسناءً، لكن الحال تتسع ؛ لتشمل كل من في العصر من الناس . والعبارة في أعلاه عبارة مركزية، فالنص كلّه يدور حولها ويسير في ركابها، وركابها، وفيها يبدو القصد واضحاً في الكلام و" مقتضاه أنه لا كلام الا مع وجود القصد " [٣٨] .

وفعل الإسناد في الجملة أعلاه أي المحمول هو الملوك، وهو هنا غير فعلي، وثم فعل الإنجاز وهو الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الذي يقرر حقيقة أن المهرجان للملوك ذوي السناء، وليس للشعب بشكلٍ عام، وهو بهذا يقرّ حقيقةً اجتماعيةً يحسها وقد يكتوي بنارها، وهو هنا يدرج فلسفته الخاصة في الحياة، وهذا أمر عام في الحياة كلها، وليس في المجتمع الذي يعيش فيه ابن الرومي فقط .

ويأتي بعد هذا دور فعل التأثير بالقول أي ناتج القول وفيه يتضح التأثير في المتلقي ؛ لإقناعه بأنْ يقرّ بالواقع الموصوف والمتفاعل معه، قال ابن الرومي [٣٩]:

وبابًا للمصيرِ إلى أوانٍ تُفَّتح فيه أبوابِ السماءِ[٤٠]

فعل القول هنا (تفتح فيه أبواب السماء)، وهي الجملة المركزية في البيت، والبيت كلّه يدور على محورها، والمتكلم هنا هو الشاعر نفسه، فالبيت تابع للبيت الذي قبله من خلال حرف العطف (الواو)، والمتكلم هو الشاعر نفسه ابن الرومي لا سواه، وهذا يبدو واضحاً من ظاهر الكلام، والمخاطب هو الممدوح الذي يتوجه إليه الشاعر، ولكن لا بأس من النظر إلى الأبيات على أنها تخص الناس بشكل عام، والجملة أو الملفوظ فتمثل بمتلقٍ بعينه هو الممدوح، والشاعر يقصد في هذا البيت متلقيا أمامه يمدحه ـ أو على الأقل هذا ما يفهم من الكلام ـ ليبلغه القصد الذي يريد تحقيقه، ويتمثل فعل الاسناد المحمول بكلمة (بابا) المعطوفة على ما قبلها، والجملة هنا مثبتة مثل الجملة السابقة، وإن ما يحصل من حول الشاعر، إنّما هو مخصص لأُناس معينين، وليس مختصاً به الناس الآخرون، وهم طبقة الشاعر، وفعل التأثير بالقول نتج عن إقرار الشاعر بكلّ ما يراه أمامه .

ثم نقرأ قول الشاعر [٤١]:

أُشبِّهه إذا أفضـــــَى حَميـدا بإفضاءِ المصيفِ إلى الشتاءِ

رجـــاءَ مؤمِّليكَ إذا تناهَى بهم بعد البلاء الى الرخاءِ

فَهْرِج فيه تحت ظلالِ عيش ممددةٍ على عيشٍ فضاءِ[٤٢]:

ونقرأ عبارة (بإفضاءِ المصيفِ إلى الشتاءِ)، اختار الشاعر إفضاء المصيف وهي مرحلة انتقالية تريح الفقير فهي لا تحتاج الى تدفئة أو تبريد بل الجو جميل بلا أيّ تدخل بشري .

والعناصر المكونة للفعل الإصالي هي:

ـ المتكلم: هو الشاعر نفسه المتكلم بعينه، وفيه نعوّل على السياق الخارجي، وقد اختار عبارة (بعد البلاء إلى الرخاءِ) وهي مرحلة انتقالية وحالة جيدة فالفقر سيء والرخاء سيء ـ برأي ابن الرومي ـ لكن الجيد الحالة بينهما .

ـ والمخاطب: هنا هو الممدوح الذي أشار إليه بالكاف، وهو مستمع جيد سمح للشاعر أن يكمل ما يريد قوله .

وفعل الإسناد في الجملة أعلاه أي المحمول هو الممدوح، وهو هنا غير فعلي، وهو هنا نعت لكلمة مجرورة في قوله (ظلالِ عيش ممددةٍ على عيشٍ فضاءِ)، وثم فعل الإنجاز وهو الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الذي يقرّر حقيقة أن العيش الرغيد لا بدّ من أن يكون في القصور الفارهة التي تضم مساحات واسعة .

ويأتي بعد هذا دور فعل التأثير بالقول أي ناتج القول و فيه يتضح التأثير في المتلقي ؛ لإقناعه بأنْ يقر أن النعم للممدوح وهي باقية لا تفنى ؛ لأن الله يزيد فيها ما يشاء

حتى يصل إلى أعلى العطايا حتى وصلت الحال إلى الصحبة، قال ابن الرومي [٤٣]:

أخـــا نِعَـــم تتمُّ بـــلا فنـــاءٍ ... إذا كـــان التمام أخا الفناءِ

يـزيـد الله فيهـا كـلَّ يـومٍ ... فلا تنفكُّ دائمةَ النـــماءِ

ويُصحُبك الإله على الأعادي ... مساعدةَ المَقادر والقضاءِ[٤٤]

فعل القول هنا (ويُصحُبك الإله على الأعادي)، وهي الجملة المركزية في البيت، والبيت كلّه يدور على محورها، والمتكلم هنا هو الشاعر نفسه، فالبيت تابع للبيت الذي قبله من خلال حرف العطف (الواو)، والمتكلم هو ابن الرومي، وهذا يبدو واضحاً من ظاهر الكلام، والمخاطب هو الممدوح الذي يتوجه إليه الشاعر، والشاعر يعني في هذا البيت متلقيا أمامه يمدحه ـ أو على الأقل هذا ما يفهم من الكلام ـ ليبلغه القصد الذي يريد تحقيقه، ويتمثل فعل الإسناد المحمول بكلمة (القضاءِ) المعطوفة على ما قبلها، والجملة هنا مثبتة كما الجملة السابقة، وإن ما يحصل من حول الشاعر، إنّما هو مخصص لأُناس بعينهم، وليس مختصاً به الناس الآخرون، ، قال ابن الرومي[٤٥]:

شهِدتُ: لقد لهوتَ، وأنتَ عَفٌّ ... مصون الدين، مبذول العطـاءِ

تَغَنتـك القيـــانُ فمـــا تغنت ... سوى محمولِ مدحِك من غِناءِ

وأحســـنُ مـــا تغّنـــاك المغِّنى ... غنـــاءٌ صـــاغَهُ لك من ثنـــاءِ

كَمُـلتَ فلستُ أسأل فيك شيئا ... يَـــزيدُكَهُ الملكُ سوى البقاءِ[٤٦]

والعناصر المكونة للفعل الإيصالي هنا هي:

ـ المتكلم: هو الشاعر نفسه المتكلم بعينه، وفيه نعوّل على السياق الخارجي، وقد اختار عبارة (شهِدتُ) وهي شهادة مهمة قالها الشاعر، ومضمون الشهادة هو

(لقــد لهــوتَ، وأنـتَ عَفٌّ مصون الدين، مبذول العطاءِ) .

ـ والمخاطب: هنا هو الممدوح الذي أشار إليه بالكاف في كلمة (تَغَنتك) و(مدحِك) و(تغّناك)(لك).

وفعل الإسناد في الجملة أعلاه أي المحمول هو الممدوح، وهو هنا فعلي، وهو هنا فعل مضارع في قوله (يَزيدُكَهُ الملكُ سوى البقاءِ)، وثم فعل الإنجاز وهو الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الذي يقرر حقيقة أن العيش الرغيد لا بدّ من أن يكون في الملك الدائم الذي يجعل صفات الملك ثابتة .

ويأتي بعد هذا دور فعل التأثير بالقول أي ناتج القول وفيه يتضح التأثير في المتلقي ؛ لإقناعه بأنْ يقر بأن النعم للممدوح وهي باقية ما دام الملك باقيا، ثم قال ابن الرومي [٤٧]:

وبعدُ، فإنَّ عذري في قصوري عن البابِ المحجّب ذي البهاءِ
حــدوثُ حوادثٍ منها حريقٌ تَحيّف ما جمعتُ مــن ْ الثراءِ
فلــمْ أســألْ لــه خَلَفَا ولكنْ دعــــوتُ اللهَ مجتهِدَ الــذكاءِ
ليــجعــلَــهُ فــداءك إنْ رآهُ فداءك، أيهــــا الغالي الفداءِ[٤٨]

والعناصر المكونة للفعل الإيصالي فيما سبق بدأت بكلمة (وبعدُ) هي:

ـ المتكلم: هو الشاعر نفسه الذي يعتذر عن ابتعاده عن القصر بقوله (فإنَّ عذري في قصوري عن البابِ المحجّب ذي البهاءِ)، ويكمل اعتذاره بالسبب (حدوثُ حوادثٍ منها حريقٌ تَحيّف ما جمعتُ من ْ الثراءِ) وفيه نعوّل على السياق الخارجي، فالذي جعله مبتعداً عن حضور جلسات الملك أنه لا يمتلك شيئاً من الثراء فقد ضاع

كل شيء بالحريق، وبهذا فقد ثراءه فصار غير مؤهل للحضور والمثول أمام الملك .

- والمخاطب: هنا هو السلطان الذي أشار إليه بالضمير الكاف، وأيها الغالي في قوله (ليجعلَهُ فداءك إنْ رآهُ فداءك، أيها الغالي الفداءِ)، وفيه تلميح بطلب الشاعر العطايا من السلطان .

وفعل الإسناد في الجملة أعلاه أي فعل المحمول على المتكلم وهو الشاعر، وهو هنا فعلي، وأعني فعل مجزوم بأداة الجزم (لم)، ومن ثم فعل الإنجاز وهو الفعل المتضمن في القول .

ويأتي بعد هذا دور فعل التأثير بالقول أي ناتج القول و وهنا لا نجد أحداً يحاول الشاعر إقناعه، قال ابن الرومي [٤٩]:

وأما قبلَ ذاك فلم يكن لي قرارٌ في الصباح ولا المساءِ

أعاني ضيعةً ما زلتُ منها بحمدِ اللهِ قِدْما في عناءِ[٥٠]

والعناصر المكونة للفعل الإيصالي هي:

- المتكلم: هو الشاعر الذي عانى قبل ذلك من عدم التوازن فهو لا يمتلك القرار والهدوء النفسي قال (فلم يكن لي قرارٌ في الصباح ولا المساءِ)، فقد عانى الضياع المستمر.

- والمخاطب: هنا هو لا أحد، فالشاعر يخاطب نفسه أمام نفسه متجرداً من محيطه، ومبتعداً عنه .

وصاحب فعل الإسناد في الجملة أعلاه أي المحمول هو الممدوح، وهو هنا غير موجود فعلاً، والشاعر يحاول ايصال فكرته تلميحاً بعد أن قالها صراحة .

ويأتي بعد هذا دور فعل التأثير بالقول أي ناتج القول و فيه يتضح التأثير في المتلقي ؛ وهذا ما يعرف برد فعل الممدوح بعد سماع الشعر، قال ابن الرومي [٥١]:

فرأيَك مُنعِما بالصفحِ عني فما لي غير صفحِك منْ عزاءِ

ولا تعتِبْ عليَّ فداكَ أهلي فتُضعِفَ ما لقيتُ منْ البلاءِ[٥٢]

والعناصر المكونة للفعل الإيصالي هنا هي:

ـ المتكلم: هو الشاعر نفسه المتكلم بحسب السياق الخارجي، وهو مادح ومستعطف لكرم السلطان طالب منه الصفح .

ـ والمخاطب: هنا هو السلطان نفسه(فرأيَك مُنعِما بالصفحِ عني فما لي غير صفحِك منْ عزاءِ) فطلب الشاعر منه الصفح وما يستتبعه من المكرمات .

وفعل الإسناد في الجملة أعلاه أي المحمول هو شيء نفسي يرجوه الشاعر، وهو هنا غير فعلي، بل جملة أسمية هي (فما لي غير صفحِك منْ عزاءِ)، وما يؤيد ذلك قوله بعد ذلك (أعاني ضيعةً ما زلتُ منها بحمدِ اللهِ قِدْما في عناءِ).

استراتيجية النصّ الخطابية في شعر ابن الرومي:

معروف أن اللغة تسلك سلوكاً اجتماعياً عندما يعبّر الناس بها عن أفكارهم، فيتواصلون فيما بينهم بها ؛ ليحققوا مصالحهم، ويسيروا بها متطلبات حياتهم ومعيشتهم، وكلّ حالة يقومون بها تولّد نشاطاً حياتياً صالحاً للدراسة، والبحث من خلال التداولية التي تحمل مفهوماً يتجسد ضمن أنساق وسياقات بلاغية ونحوية وكلامية وأصولية وغيرها، وتسعى الى استكشاف أغراض المتكلم المقامية عندما نعرف استراتيجية النص الخطابية، وعندها نقف على المعنى المقامي لتفسير الكلام

وفهمه وإدراك استعماله اللغوي، وكشف طرائقه وخصائصه الخطابية، وعندما وقفت تداولية على أفعال الكلام نظرت إلى الكلام على أنه تحقيق للأشياء بالكلمات أو صنع الأفعال، وإيجاد المواقف الاجتماعية والتأثير في المخاطب عندما يدفعه الى فعل حكم أو تركه، والتشكيك في فعل أو تأكيده، وإبرام عقد أو فسخه، أو كشف المستور في حالة نفسية معينة يمر المتكلم بها، وقد حاول البحث تلمس تحقق نظرية أفعال الكلام وهو يمرُّ بجانب الشعر العربيّ القديم، وهذا ما وجدته في شعر ابن الرومي ؛ كي تتمّ دراسته دراسةً تداولية، وهو شعر يمثّل حالةً خاصةً وشخصيةً خاصةً، فهو يعاني من أزمات نفسية واجتماعية تجعله شخصاً مميزاً يستحق الدراسة، مع تأكيد أن الناظر إلى شعره سيلاحظ أن القصيدة عنده كاملة ؛ لأنّها وحدة كلامية واحدة من ذلك قول ابن الرومي في أبي عبد الله عمر بن محمد بن عبدوس (٥٣):

استقبلِ المِهْرَجَانَ بالفَرَحِ ... فقد مَضَتْ عنكَ دَولَةُ التَّرَحِ
وَحَيِّ نَدْمَانَكَ المُساعدَ بالنَّرْ ... جِسِ بَينَ الإبْرِيقِ والقَدَحِ
واسْمَعْ مِنَ المُسْمِعَاتِ فيكَ وهلْ ... تسمعُ إلا ما فيك من مِدحِ ؟
يا مُشْبِهَ المهرجان مُفْتَتِحَا ... من دولةِ الغَيْثِ خيرَ مفتتحِ
كُلٌّ إذا ما اصْطَبَحْت مُصْطَبِحٌ ... مِنْ جُودِ كَفَّيكَ خيرَ مُصْطَبَحِ
عَمَّرَكَ اللهُ في السُّرور وأعْـ ... ـلَاكَ بتلكَ العُلَا عَنِ المِدَحِ
يا مَنْ إذا عُدِّدَتْ مَحَاسِنُهُ ... نَابَتْ لأعدائه عن السُّبَحِ
فَاقْتَرِح المطرباتِ مُعْتَقِدَا ... أنَّكَ للسُّؤْلِ خَيْرُ مُقْتَرَحِ
ما اقترحَ السُّؤْلُ مثلَكَ ابنَ أبي ... بكْرٍ لِمَا نَرْتَجِي من المِنَحِ
ولا انْتَقَدْنَا على تَأنُّقِنَا ... مِثْلَكَ يا ذا الخلائقِ الوُضُحِ
فاطْرَبْ على ذاك عندَ مُغْتَبَقٍ ... واطربْ على ذاك عند مُصْطَبَحِ (٥٤)

عَمد البحثُ إلى كتابة قصيدة كاملة لإيضاح طبيعة القصيدة في شعر ابن الرومي الذي تبدو فيه القصيدة وحدة واحدة ففي البيتين الأول والثاني نجد ارتباطاً واضحاً

فالأول يكمل الثاني:

استقبـــلِ المِهْرَجَانَ بالفـــرَحِ فقـد مَضَتْ عنْكَ دَولَةُ التَّرَحِ
وَحَـيِّ نَدْمَانَكَ المُسَاعدَ بالنَّرْ جِسِ بَينَ الإبْرِيقِ والقـــدَحِ(٥٥)

وكلّ بيت شعري متعالق مع الذي يليه فلا يمكن فصله عنه قال:

يـــا مُشْبِهَ المهرجان مُفْتَتِحَـــا من دولةِ الغَيْثِ خيرَ مفتتـــحِ
كُلٌ إذا ما اصْطَبَحْت مُصْطَبِحٌ مِنْ جُودِ كَفَّيكَ خيرَ مُصْطَبَحِ(٥٦)

حتى نصل إلى نهاية القصيدة نجدها تامة المعنى، وعرض الشاعر فيها كلّ ما يريد قوله نلاحظ ذلك في خاتمة القصيدة:

ولا انْتَقَدْنَـــا عـــلى تَأَنُّقِنَـــا مِثْـــــلَكَ يا ذا الخلائقِ الوُضُحِ
فاطْرَبْ على ذاك عندَ مُغْتَبَقٍ واطربْ على ذاك عند مُصْطَبَحِ(٥٧)

ومن الأمور التي وجدتها في شعره تعدّد الموضوعات وتنوع المكان والزمان، وما نبحث فيه هو كيف قال ابن الرومي شيئاً، لكنّه عنى به شيئاً آخر في نوع الأفعال الإنجازية غير المباشرة، وقدرته على أسماع المتلقي شيئاً له معنى ويفهم منه شيئاً آخر، وقدرته على جعل الإنشائيات تعمل، ثم الكيفية التي أنجز بها الأشياء بالكلمات، والكيفية التي أسهم بها في التغيير، والكيفية التي كان خبره في الكلام أمراً مسموعاً .

وتُعدّ قراءة شعر ابن الرومي محاولة لسبر حقيقة خصائص قصيدته الخطابية، وأثر المفاهيم التداولية في تحليل نصه، وشعره يثري مفاهيم تحليل الخطاب الشعري بل نجد قوةً حجاجيةً في نصوص ابن الرومي ومنها:

يا سائلي عنْ مجمـــــع اللذّاتِ سألتَ عنه أَنْعَمَتَ النُّعاتِ
فهـــــاكَ ما استنبأته من قَصِّهَ مُسلِّما من شَوْبِهِ ونقصه(٥٨)

ويبدأ كلامه بكلمة (يا سائلي) أي هو حوار وتساؤل ومحاولة اقناع للمتحاور معه، وعند تحديد الفعل الكلامي، وبنية الأفعال المتفرعة عنه، أي تقسيمه الى مستويات:

- فعل القول .
- الفعل المتضمن في القول .
- الفعل التأثري (الناتج عن القول).

واسلفنا أنّ المنهج التداولي يمتلك القدرة على توضيح جوانب الخطاب كلّها من خلال دراسة طريقة عرض الأفعال لبيان قصد المتكلم من الكلام مستندين إلى شرح الكلمات من المعاجم، وعرض آراء علماء البلاغة وبشكلٍ خاص علماء علم المعاني، والوقوف على المواقف، وإعادة توضيحها على وفق المقام الذي يكون المتكلم فيه، ويمتلك الفعل الكلامي أغراضاً تحقق الإنجازية التي تتباين بتباين استعمالاته، وتتعدّد الأفعال غير المباشرة عندما تتنوع مقاصد المتكلم، قال ابن الرومي [٥٩]:

كفَى بسراجِ الشيبِ في الرأسِ هاديا ... الى مـــن أضـــلَّته المنايـا لياليا
أ مِنْ بعـد إبـداءِ المشيبِ مقَاتـلي ... لـــرامي المنايا تحسبيني ناجيـا ؟
غـدا الـدهرُ يرميني فتدنو سهامهُ ... لشخصي وأخلقُ أن يصيبَ سواديا
وكان كرامي الليلِ يَرمي ولا يـرى ... فلـما أضاءَ الشيبُ شخصي رآنيا[٦٠]

ففي هذه الأبيات مجموعة من التسويغات التي يدافع بها الشاعر عن زمن المشيب الذي يجب أن يستغله الانسان ليغير هفواته التي قام بها في أيام الشباب، وشعر ابن الرومي خطاب أدبي وجهه الشاعر إلى مخاطب غير مقصود أحياناً وفي أحيان أخرَ يوجهه إلى مخاطب مقصود قال ابن الرومي موجها كلامه إلى معشر الشعراء [٦١]:

يقــولون مـــا لا يفعلــون مسبــةً مــن اللهِ مسبــوبٌ بهـــا الشعراءُ
ومـــا ذاكَ فيهم وحــدَهُ بل زيــادةٌ يقولـــــون مـــا لا يفعلُ الأمراءُ[٦٢]

وفي أحيان أُخَر يوجهه إلى مخاطب مقصود، وهو يريد التعبير عن أغراض في نفسه، أو يريد أن يوصل فكرة ما إلى غيره، وقد اخترت لدراسة خطاب ابن الرومي الشعري تقسيم جون سيرل الخماسي للأفعال الكلامية، مع التمييز بين النص والخطاب، وتعدّد المعاني التي تظهر للمنطوق الواحد مع وجود بعض المعاني الاحتمالية، مع توضيح طرائق الاستدلال على القوة الإنجازية المستلزمة لكلّ مقام كلامي، وفي كلّ هذا تكون نقطة انطلاقنا هي الخطاب لا النص ؛ لأن " النص هو مجمل القوالب الشكلية النحوية والصرفية والصوتية، بغض النظر عمّا يكتنفه من ظروف أو يتضمنه من مقاصد، في حين يحيل الخطاب على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكليه وظروفه، كما أن هناك فرقاً في العلامات المستعملة، فقد ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية "[٦٣]. فالشاعر يخاطب نوعين من المخاطبين، الأول يكون من داخل نصه، ويذكرهم فيه، وهم أول المتلقين للنص الذي يوجه المبدع، وهناك نوع آخر من المخاطبين يقعون خارج الخطاب الشعري عند ابن الرومي قد يكونون من عصر غير عصره ومن زمان غير زمانه، فهو لا يوجه الخطاب فيه لشخصٍ معين، وإنّما الكلام مطلق بشكل عام، من خلال الإغضاب والتحريض والتحبيب، والتعجيز والتكذيب والتشريف وغيرها كثير من خصائص الخطاب الشعري عند ابن الرومي فهو يقول هاجياً بني طاهر هجاءً موجعاً بعيداً عن الفحش والرفث[٦٤]:

دَعَتْنـــي إلى فَضـلِ معــروفكُـــمْ وجــوه منـــــاظُــرها مُعْجبهْ
فأخــلفتُـــمُ مـــا تَـــوسـمْتُه وقـــلْ حميدٌ عـــــلى تَجْرِبَهْ

وكـــم لُعَـــةٍ خـــلتُها رَوَضـــةً فألفيتُهـــا دِمـــنةً مُعشبـــهْ
ظلـــمـــتكم: لا تطيـــبُ الفـــرو عُ الا وأعـــراقهـــا طيـبهْ
وكنـــتُ حسبـــتُ فـــلما حَسبـــ ـتُ عَفَّى الحسابُ على المَحْسِبَهْ
فهـــل تُعـــذّرون كعُـــذِريكُمُ بـــأنَّ أصـــولكُمُ المُـــذْنـبهْ
خـــرجتُ مُـــوازِنكُـــم بالسوا ءِ عُـــذرا بعـــذرٍ فلا مَعْتِبهْ[٦٥]

وقد أفاد الباحثون العرب من تقسيم سيرل للأفعال الكلامية مع وضع بعض الضوابط التي تتحدّد بسبب طبيعة اللغة العربية الخاصة بها . ومن هؤلاء محمود نحلة الذي قال: " من الممكن تقسيم الأفعال الكلامية العربية تقسيماً خماسياً يطابق ما قدمه سيرل ويفيد من ضوابطه، فيما عدا ما أطلق عليه سيرل الإعلانيات وأطلقنا عليه الايقاعيات، ... فضلاً عن أننا اخترنا أن نطلق على قسم منها الطلبيات واختار أن يطلق عليها التوجيهيات ..." [٦٦].

والأصناف الخمسة التي حدّدها سيرل ووجدتها في شعر ابن الرومي هي:

ـ الإخباريات أو التقريريات، ويكون الغرض الذي تنجزه هو نقل المتكلم أي واقعة من خلال قضية يعبر عنها، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، يتضمن معظم أفعال الإيضاح والحالة النفسية التي تعبّر عنها هي الاعتقاد، قال ابن الرومي [٦٧]:

قلْ للحـكيمِ أبي الحسينِ ومنْ جَلَا ليـلَ الشُّكُوكِ عنْ القلوبِ فأصْبَحَا
وتَتَبَّـــعَ الإخـــوانَ يَنْعَشُ عَـــثْرَةً منهـــــم ويسْتُرُ عَـوْرَةً أنْ تُفْضحا
للهِ أنـــتَ لســـائِلٍ ومُسَـــائِلٍ مـا أسْرَحَ الرَّفْدَيْنِ مِنكَ وأنجحـا
أنت الذي إن قيل: جُدْ، غَمر المُنَى بنـواله، أو قيل: أوْضِحْ، أوضَحـا

مـــا إنْ تَـــــزَالُ مُـــنَوَّرَا ومُنَوِّلا كالغيْثِ أبرقَ في الظلام وسَحْسَحَا[٦٨]

أراد الشاعر أن يطلب رفد الممدوح فلم يجد سوى المديح وسيلةً لذلك، وقد يكون مديحه غير حقيقي، لكن الممدوح سيجاري المادح متأثراً بقوله، وعندها سيحصل المادح على ما يريد، لذا نراه قال بعد ذلك بأبيات عدة [٦٩]:

أكـــرِمْ بنـــائِلِكَ الـــذي أمْتَاحُهُ عَنْ أيَّ ما ضَرَع وذُلَّ زحزحا

لـــو لم تصـــن وجهي به وتكفه أمسى وأصبح بالهوانِ مُلَوَّحَا[٧٠]

ثـم قال بعدها بأبيات عدة [٧١]:

أبْصَـرْتَ عُـودِي عَارِيا فَكَسَوْتَهُ وقَدِ التَحَى مِنْهُ زَمَانِي مَا التَحَى

لا اسْتَزِيـدُكَ غيرَ إذْنِكَ أن تَرَى مَدْحِي عَلَيْكَ مُحَبَّرًا ومُسَيَّحـا[٧٢]

فوصل إلى ما يريده من غير أن يقول ذلك، ونال الشاعر ما أراده من الممدوح .

ـ الوعديات أو الالتزاميات والغرض الذي تنجزه هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، ومن يحدث المطابقة هو المتكلم، والشرط الذي يُعدّ هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به .

قال ابن الرومي يعاتب ابن ثوابة [٧٣]:

حتَّى متى يُوري سِوَايَ وأقْتَدِحْ حتى متى يُعْطَى سواي وأمْتَدِحْ؟

حتَّام لا شعري أمَامَ المُجْتَبـــى فَأَحَظَّ منْهُ، ولا وراءَ المطَّـــرِحْ؟

كم أستميح المُقْرِفِينَ وأغْتَـــدِي صِفْرَ الدِّلَاءِ كأنَّي لم أسْتَمـــــحْ؟

تا لله مـا سَمِعَ الأنامُ بِطَـــالبٍ مثلي، ولا رأوا أمرأ مثلي أطـرح

كــمْ مُكْثِرٍ طــالبتُ فِدْيَةَ عِرْضِهِ فأباحني منهُ الذي لَمْ أَسْتَـــبِحْ
وإِخالُ أنِّي لوْ سَطَوْتُ لَقَالَ لِي: لا تَسْلُبِ السّلَبَ الكريم ولوْ جُرِحْ
وَجَوابُهُ إنْ قال ذاكَ لجهلِهِ بلْ ذُو النَّذالَةِ لا يجُودُ ولوْ ذُبح(٧٤)

فقوله: (كم أستميح المُقْرِفِينَ وأغْتَدِي) و(صِفْرَ الدِّلَاءِ كأنَّي لم أسْتَمِحْ؟)، ألزم الشاعر نفسه فيها بعدم الطلب ؛ لأن لا أحد يستجيب لطلبه وما أكد ذلك قوله في خاتمة كلامه: (بلْ ذُو النَّذالَةِ لا يجُودُ ولوْ ذُبح).

ـ التوجيهات أو الطلبيات: ويتحدّد غرضها في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، وتتمثّل في الإرادة والرغبة الصحيحة، وتتحقّق عندها بفعل السامع شيئا في المستقبل، وشرطها قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه، وضمن هذا الصنف الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والنصح وغيرها (٧٥)، قال ابن الرومي:

أبَيْنَ ضُــلوعــي جَمْـرة تتوقَّدُ على ما مضى أم حسَرةٌ تتجدّدُ؟
خليليَّ مـــا بعد الشَّبـابِ رَزِيَّةٌ يُجَمُّ لها ماء الشؤون ويُعْتَـــدُ
فلا تَلْحَيَا إنْ فَاضَ دَمْعٌ لـفقدِهِ فَقَلَّ له بحرٌ مِنَ الدمعِ يُثمـد
ولَا تَعْجَبا لِلْجَلْدِ يَبكي فــربَّما تفطّر عن عينٍ منَ المَاءِ جَلْمَدُ
شَبَــابُ الفَتَى مجلودُه وعزاؤه فكيفَ، وأنَّى بعدَه يَتجـــلد؟
وفَقْدُ الشَّبَابِ المَوتُ، يُوجَدُ طَعْمُهُ صُراحَا، وطَعْمُ المَوتِ بِالمَوتِ يُفْقَـدُ
رُزِئْتُ شَبَابِي عَــوْدةً بَعدَ بَدْأةٍ وَهُـــنَّ الرَزَايَا بَادِئاتٌ وعُوَّدُ
سُلِبتُ سوادَ العارضَيْنِ، وقبلَه بَيَاضَهما المَحمُودُ إذْ أنَا أمردُ(٧٦)

وتحقّق ذلك بقوله: (ما بعد الشَّبابِ رَزِيَّةٌ يُجَمُّ لها ماء الشؤون ويُعْتَدُ)، حاول

الشاعر توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما في المستقبل، مستعيناً بالاستعطاف لأنّه شخص فقد الشباب وقوته، لهذا يستعطف السامع لكي لا يقع في المستقبل في الغلط نفسه أي إضاعة أيام الشباب، وهو أمر تأكد بما قال الشاعر بعده من الكلمات: رُزِئْتُ، سُلِبتُ .

ـ التعبيريات وغرضها التعبير عن الموقف النفسي الذي يحصل بسبب الواقعة التي تعبر عنها القضية، والمتكلم لا يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ومن هذا الصنف التهنئة والاعتذار، والشكر والنعم والتعزية والترحيب [٧٧]، قال ابن الرومي يهنئ القاسم بن عبيد الله بمولود له، والمعتضد إذ ذاك وليّ عهد:

يَمَّـــنِّ اللهُ طــلْعَةَ المَوْلُـــودِ ... وَحَبَـا أَهْلَهُ بطولِ السُعُـــودِ
فهُـــمُ الضَّامِنونَ حـــين تَوَالَى ... مُنْسِيَاتُ العهودِ حفْظَ العهودِ
أمْتَـــعَ اللهُ ذو المـــواهبِ بـــالمو ... هُـــوبِ غَيْرِ المُخَسَّسِ المنْكُودِ
بَدْرُ طَلْقٍ، وشَمْسِ دَجْنٍ مِنَ الأمْـ ... ـلَاكِ جـــاءا بكوْكَبٍ مَسْعُودِ
سَلَّـــهُ اللهُ للـــخطوبِ من الغَيْـ ... ـبِ كَسَـــلِّ المـــهنَّدِ المغْمُـــودِ[٧٨]

ـ الايقاعيات وغرضها إحداث تغيير يطابق العالم عندما ينشأ الفعل الكلامي الناجح وإيقاع الفعل فيها يكون مقارباً للفظ في الوجود، فالقول هو الذي يوقع الأفعال، وهي تشتمل على البيع والشراء، الهبة، والدين وإبرائه، الزواج والطلاق، وغيرها من الأفعال التي تتحقّق بالكلام [٧٩]، وهذا لا يحصل في الشعر إلا إذا قصد الشاعر إلى ذلك، كأن يبيع أو يشتري أو يتزوج أو يطلق امراته شعراً، وهذا لم أجده في شعر ابن الرومي لكن شاعرنا كان يذكر أشياء قد حصلت فعلاً أو ما يراه يحصل حتى لو كان الأمر حاصلاً في مخيلته، مثال ذلك قول ابن الرومي:

وَمُـهَـفْـهَـفٍ تَمَتْ مَحَـاسِـنُهُ ... حَتَـى تَجَـاوَزَ مُـنْيَةَ النَفْـسِ
تَصْبُـو الكُـؤوسُ الى مَـرَاشِفِـهِ ... وتَهَـشُّ فِي يَـدِهِ الى الحَبْـسِ
أبصَـرتُه والكَـأسُ بـينَ فَـمٍ ... مِـنْهُ وبـينَ أنَـاملٍ خَمْسِ
فَكَـأنَّهَـا وَكَـأنَّ شَـارِبَهَا ... قمـرٌ يَقْبل عَـارِضَ الشَمْسِ[٨٠]

وهدف الخطاب عند سيرل معيار مهم لتصنيف الاستعمالات اللغوية، وبهذا ستكون الأشياء التي تفعل باللغة محددة بما يأتي:

- إخبار الناس عن كيفية الأشياء وهي ما يسمى بالإخباريات .
- التأثير في الآخر لفعل الأشياء وهي ما يسمى بالتوجيهيات .
- إلزام الذات بفعل الأشياء وهي ما يسمى بالالتزاميات .
- نعبر عن مواقفنا ومشاعرنا الأشياء وهي ما يسمى بالتعبيريات .
- إحداث تغييرات معينة بكلامنا الأشياء وهي ما يسمى بالايقاعيات [٨١].

ووجدتها في شعر ابن الرومي، ما عدا الأخيرة التي تحتاج إلى إيقاع كلام في المستقبل، والإيقاع يكون تأثيره بعد انتهاء الكلام .

الخاتمة:

هي محاولة يسيرة لدراسة الفعل الكلامي في شعر شاعر مكثر ذي ديوان كبير، ولا يمكن الإحاطة بتراثه الشعري كلّه فيها بطبيعة الحال ؛ لذا فهي إشارة مني ودعوة للباحثين الى دراسة شعره من المنظور الذي اتخذته وسيلة في دراستي، فكلّ قصيدة يمكن أن تكون مجالاً رحباً للإبحار في شعر ابن الرومي بالاعتماد على التداولية منهجاً في الدراسة .

ـ عند تصفح ديوان ابن الرومي وجدت كثيراً من التجارب العميقة المستوحاة من حياته، وما عاناه فيها من آلام وخيبة أمل، كل هذا كان مقدما بلغة خاصة بنيت بناءً محكماً رصيناً.

ـ عُني ابن الرومي في شعره بذكر السلطة الحقيقية التي رأى أنها لا تتأتى من الحسب والنسب، وإنما تتأتي من حب الشعب وتفاعله مع من يحكمه، وأغلب شعره في السياسة يمكن انطباقها على أهل السلطة في كلّ العصور ولو لم نعرف فيمن قيلت أو ما سببها، سنجده قد حدّد فكرة عامة في التعامل مع الناس، وهذا يُعدّ اندماجاً مع المجتمع.

ـ الفعل الكلامي في شعر ابن الرومي يميل إلى النظر إلى العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الشاعر بشعره، فلا يمكن له أن يكون بعيداً عن المؤسسة الاجتماعية التي تنتجه، وإذا خرج فإنه يتعلق بموقف الشاعر الاجتماعي أو الاعتباري والمخاطب كذلك أو هما معا ؛ لأنه بنية معجمية في طابع نحوي فيها دلالة يؤديها الصوت من خلال الفعل الصوتي، والفعل اللفظي التأكدي، والفعل الإبلاغي أو الدلالي .

ـ اشترك في إحداث الأفعال بمختلف أنواعها (الإسناد أو التأثير) الشاعر والمخاطب (شخص خارج الشعر أو قد يكون الشاعر نفسه) .

- تقصّى البحث الأصناف الخمسة التي حدّدها سيرل، وقد وجدها في شعر ابن الرومي، وهي: الإخباريات أو التقريريات، وأنجز بها شاعرنا مهمةً واقعة من خلال قضية يعبر عنها، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، ثم الوعديات أو الإلزاميات التزام الشاعر نفسه فيها بفعل شيء ما في المستقبل، ومن يحدث المطابقة هو المتلقي، والتوجيهات أو الطلبيات: ويتحدّد غرضها في محاولة ابن الرومي توجيه المتلقي إلى فعل شيء ما، ثم التعبيريات التي عبر بها ابن الرومي عن الموقف النفسي الذي يحصل بسبب الواقعة التي تعبر عنها القضية، والايقاعيات ولم أجدها في شعره .

- استطاع البحث من خلال الاستعانة بالمنهج التداولي أن يقفَ على الأمور المهمة التي تجعل شعر ابن الرومي متأثراً بعصره، وإن كان صالحاً في بعضه ؛ لأن يوجه للمتلقي في العصر الحديث، وأنه اعتمد القصد أساساً في قوله الشعر، ويمكن تعيين ذلك من الحال الذي وردت فيه، وهو ما أضفى مشروعية على كلامه .

- لم يكتب ابن الرومي شعره اعتباطاً وإنما انطلق من أسس قارة في ذهنه جعلته يختار جمله الشعرية اختياراً محكماً ففي عصره تجمعت المتناقضات التي تجعل قول الشعر عسيراً بلا انتباه لما سيلحق هذا الفعل من مشكلات تجعل الشاعر في موقف محرج، وهذا كلّه بسبب أن الفعل الكلامي مرتهن بسياق الحال ومتعلق بمشكلاته، ولا توجد قواعد معينة تحكمه بل هي مجموعة معطيات تجسدت بمواقف ابن الرومي؛ ممّا وجدته في عصره من اضطراب وأحداث جِسام، فكانت أفعاله الكلامية مرتبطة بطبيعة منتجها، وبمستوى متلقيها الاجتماعي والثقافي .

هوامش البحث:

١) ينظر: دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً، د. ميجان الرويلي وسعد د. البازعي، المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠٠٥م: ١٦٧.

٢)ينظر: عندما نتواصل ... نُغير / مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ٦١.

٣)ينظر: الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٦م: ٢٣٢.

٤) فلسفة اللغة عند فتجنشتاين، جمال حمود، منشورات الاختلاف، الجزائر، بلا . ت: ٣٠٦.

٥) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م: ١٥.

٦) التأويلية بين المقدس والمدنس (مقالة)، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مجلة عالم الفكر، مج: ٢٩، عد: ١، يوليو / سبتمبر، ٢٠٠٠م: ٢٦٤.

٧) ينظر: أسس علم الاجتماع، د. محمود عودة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، بلا . ت: ١٨ـ ١٩.

٨) ينظر: ابن الرومي، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، ٢٠١٢م: ٢٠ـ ٢٣.

٩) ينظر: تاريخ الأدب العربي / ٤، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ـ مصر: ٥٣ـ ٦٤. محمد بن عبد الله بن طاهر: والٍ محنك داهية ولاه المستعين على العراق وجعل إليه الحرمين والشرطة ومعاون السواد وأفرده به. وأمره بتحصين بغداد فتقدّم في ذلك فأدار عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة وأمر بحفر الخنادق من الجانبين جميعاً وجعل على كلّ باب قائداً، وفي ذي القعدة كانت وقعة عظيمة خرج محمد بن عبد الله بن طاهر في العسكر ونصبت له قبة جلس فيها واقتتل الناس قتالاً شديداً وانهزمت الأتراك ودخل أهل بغداد عسكره وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهربوا على وجوههم لا يلوون على شيء فكلما جيء برأس يقول بغا ذهبت الموالي، واتهم بالتحيّز للمعتز فأمر المستعين بإغلاق الأبواب وصعد سطح دار العامة ومحمد بن عبد الله معه فرآه الناس وعليه البردة وبيده القضيب فكلّم الناس وأقسم عليهم بحق صاحب البردة إلا انصرفوا فإنّه آمن لا بأس عليه من محمد فسألوه الركوب معهم والخروج من دار محمد لأنهم لا يأمنونه عليه فوعدهم ذلك. مات محمد بن عبد الله بن طاهر في ليلة أربع عشرة من ذي الحجة انخسف القمر وكانت علته التي مات بها قروحا أصابته في حلقه ورأسه، سنة ٢٥٣هـ. ينظر: الكامل في التاريخ، الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن

أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٥ـ ١٩٦٥: ٧/ ١١٨، ١٤١، ١٥٧، ١٥٩، ١٨٠أذكر له أخبارا كثيرة تبين ذكاءه وسياسته العامة والانتصار على الغوغاء والفتن .

١٠) ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحـ: د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م: ١/ ١٥١ .

١١) المصدر نفسه: ١/ ١٥١ .

١٢) المصدر نفسه: ١/ ١٥١ .

١٣) ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحـ: د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م: ١/ ١٥١ .

١٤) المصدر نفسه: ١/ ١٥١ .

١٥) المصدر نفسه: ١/ ١٥١ .

١٦) محاضرات في اللسانية منشورات جامعة باجي مختار، عنابة ـ الجزائر، ٢٠٠٦م: ١٩١ .

١٧) التفكير مع هابر ماز ضد هابر ماز، كارل أوتو آبل، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م: ٦٤ .

١٨) نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، راث كيمبسون، تر: عبد القادر قنيني، دار الأمان، الرباط ـ المغرب، ط١، ٢٠٠٩م: ١٥٣ .

١٩) ديوان ابن الرومي: ١/ ١٧٦ .

٢٠) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مونفانو، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٥م: ٧.

٢١(ينظر: الخطاب اللساني العربي ـ هندسة التواصل الاضماري (من التجريد الى التوليد)، مستويات البنية الاضمارية وإشكالاتها الاساسية، بنعيسى عسّو أزاييط، إربد ـ الأردن، ط١، ٢٠١٢م: ٢/ ١٧٩ .

٢٢) التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي: ٩.

٢٣) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي: ٨.

٢٤) ديوان ابن الرومي: ١/ ٣٥٥.

٢٥) المصدر نفسه: ١/ ٣٥٥.

٢٦) م . ن: ١/ ٣٥٨.
٢٧) م . ن: ١/ ٣٥٨.
٢٨) كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين: ١٢٧.
٢٩) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي: ٤١.
٣٠)ديوان ابن الرومي: ١/ ٣٥٨.
٣١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي: ٤١.
٣٢) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي: ٣٠ـ ٣٢.
٣٣) دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠: ١٢٤.
٣٤) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٠٨ـ ١١٠.
٣٥(ينظر: م . ن: ٣١.
٣٦) ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحـ: د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م: ١/ ٥٦.
٣٧) المصدر نفسه: ١/ ٥٦.
٣٨) استراتيجيات الخطاب ـ مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظاهر الشهري: ١٨٨.
٣٩)ديوان ابن الرومي: ١/ ٥٦.
٤٠)ديوان ابن الرومي: ١/ ٥٦.
٤١) م . ن: ١/ ٥٨..
٤٢) م . ن: ١/ ٥٨..
٤٣) ديوان ابن الرومي: ١/ ٥٩..
٤٤) المصدر نفسه: ١/ ٥٩..
٤٥) م. ن: ١/ ٧٦..
٤٦) م. ن: ١/ ٧٦..
٤٧) م .ن: ١/ ٧٦..
٤٨) م .ن: ١/ ٧٦..

٤٩) م . ن: ١/ ٨٦.
٥٠) م . ن: ١/ ٨٦.
٥١)ديوان ابن الرومي: ١/ ٨٦..
٥٢)المصدر نفسه: ١/ ٨٦..
٥٣) م . ن: ٢/ ٥٤٢.
٥٤) م . ن: ٢/ ٥٤٢.
٥٥) م . ن: ٢/ ٥٤٢.
٥٦) م . ن: ٢/ ٥٤٢.
٥٧) م . ن: ٢/ ٥٤٢.
٥٨) ديوان ابن الرومي: ٦/ ٢٦٤٨.
٥٩) ديوان ابن الرومي: ٦/ ٢٦٤٥.
٦٠) ديوان ابن الرومي: ٦/ ٢٦٤٥.
٦١) م . ن: ١/ ٧٥.
٦٢) م . ن: ١/ ٧٥.
٦٣) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م: ٣٩.
٦٤) ديوان ابن الرومي: ١/ ١٤٩، ووقد وصف محقق الديوان هذه الأبيات في الهامش .ينظر: هامش الصفحة نفسها
٦٥) المصدر نفسه: ١/ ١٤٩.
٦٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م: ٩٧.
٦٧) ديوان ابن الرومي: ٢/ ٥٤٢ـ٥٤٣ .
٦٨) المصدر نفسه: ٢/ ٥٤٢ـ٥٤٣ .
٦٩) م . ن: ٢/ ٥٤٣.
٧٠) م . ن: ٢/ ٥٤٣.
٧١) م . ن: ٢/ ٥٤٣.
٧٢) م . ن: ٢/ ٥٤٣.
٧٣) م . ن: ٢/ ٥٦٤.

٧٤) م . ن: ٢/ ٥٦٤.
٧٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٨.
٧٦) ديوان ابن الرومي: ٢/ ٥٨٥.
٧٧) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٠.
٧٨) ديوان ابن الرومي: ٢/ ٦١٥ ـ ٦١٦.
٧٩) ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩٨.
٨٠)ديوان ابن الرومي: ٣/ ١١٧٥.
٨١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ١٥٨.

قائمة المصادر والمراجع:

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م .
- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م .
- الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٦م .
- أسس علم الاجتماع، د. محمود عودة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، بلا . ت .
- التأويلية بين المقدس والمدنس (مقالة)، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مجلة عالم الفكر، مج: ٢٩، عد: ١، يوليو / سبتمبر، ٢٠٠٠م .
- تاريخ الأدب العربي / ٤، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ـ مصر.
- التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي . دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م .
- التفكير مع هابر ماز ضد هابر ماز، كارل أوتو آبل، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م .
- الخطاب اللساني العربي ـ هندسة التواصل الاضماري (من التجريد الى التوليد)، مستويات البنية الاضمارية وإشكالاتها الاساسية، بنعيسى عسّو أزاييط، إربد ـ الأردن، ط١، ٢٠١٢م .
- دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠.
- دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا، د. ميجان الرويلي وسعد د. البازعي، المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠٠٥م .
- ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحـ: د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م .
- عندما نتواصل ... نُغير / مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، المغرب العربي، ط١، ٢٠٠٦م .
- فلسفة اللغة عند فتجتشتاين، جمال حمود، منشورات الاختلاف، الجزائر، بلا . ت .
- الكامل في التاريخ، الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٥ـ ١٩٦٥.
- محاضرات في المدارس اللسانية منشورات جامعة باجي مختار، عنابة ـ الجزائر، ٢٠٠٦م.

* المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مونفانو، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٥م .

* نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م .

* نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، راث كيمبسون، تر: عبد القادر قنيني، دار الأمان، الرباط ـ المغرب، ط١، ٢٠٠٩م .